



لقد فشل الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - في أحد، وتنازعوا فيما بينهم كما أخبرنا الله - تعالى - عنهم؛ {حتى إذا فشلت وتنازعتم في الأمر، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون}. إلا أنهم لم يكونوا جميعاً سبباً للفشل؛ إذ قال الله عنهم: {منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة}، بل من المشاركون في أحد من أثني الله عليه أيماناً ثناء؛ {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً} .

وهكذا هو العمل الجماعي، رابطة بين مجموعة أفراد، قد يفشل كله بسوء أداء بعضهم، ولو كان أداء بعضهم الآخر رائعاً ومتميزاً.

خوازي الناشطين السياسيين السوريين: أذركم بهذه القاعدة والكل يتحدث أن المعارضة السورية لم تنجح حتى الآن في تكوين مجلس وطني لدعم الثورة والانتقال بها إلى مرحلة قادمة، في طريقها إلى النصر والتمكين - بإذن الله -؛ ولعل السبب في عدم النجاح إلى الآن أنه بالرغم من أن في المبادرات التي طرحت مخلصون صادقون لم يألوا جهداً في تقديم عصارة جدهم، وخيرة أوقانهم، وحر مالهم لخدمة قضيتهم العادلة بمنهجية واحترافية، فكانوا حقاً "القوى الأمين" ، إلا أن فيهم أيضاً الأئمين غير القوي: غيور مخلص لكن أدخل نفسه فيما لا يحسنه فأساء من حيث أراد الإحسان، وقد يكون فيهم القوي غير المبادرة أو تلك، فالنوايا لا يعلمها إلا الله.

وحتى لو كانت القرائن قوية فلا مصلحة في مثل هذا التصنيف خاصة في هذا الظرف العصيب. لكنني أتوجه إليكم بموعظة الله وكلكم مؤمنون به: {منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة}. ما أبلغها من موعظة في خبر موجز! نعم إنها من أبلغ الموعاظ في عالم الشعور وواقع العمل. أما في عالم الإحساس، فإن الإنسان على نفسه بصيرة. فالذي يظن في نفسه أنه ما أراد إلا الله والدار الآخرة، يستروح أيماناً استرواح بهذه العبارة العادلة المنصفة؛ {ومنكم من يريد الآخرة}، بل لعلها تذهب بكل

الغم الذي أصابه من {فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم}. وما أقصى أن يُتهم جميع القائمين على العمل بأنهم سبب فشله دون أن نستثنى أحداً، فنضيف إلى المخلصين الصادقين العاملين منهم غم الاتهام والتربيء إلى غم الفشل والإخفاق. وأما الذي علم من نفسه إرادة الدنيا فيشعر في دخيلة نفسه أن الآية تقرعه وتقول له: أنت أنت من أفشلتنا! وعلى كل فالمنصف العاقل لا يزكي نفسه تزكية مطلقة، بل لا يفتأ يفتح في دخيلة نفسه ويراجع نيته أن يكون فيها شيء من المقاصد السيئة. وانهماك الإنسان في العمل قد يجعل في نيته الدخن والخلل دون أن يتتبه لذلك.

وتأملوا قول أحد الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين -: "لم نكن نعلم أن فيينا من يريد الدنيا إلا حين نزلت هذه الآية". أما في الواقع العمل فإن لهذه الموعظة أثراً في التحفيز والتوصيب. فالمحسن الذي وجد هذه اللمسة العادلة الحانية التي اعترفت بفضله وميزته عن غيره ولم تعمم لا يحيطه الفشل، ولا يستسلم وينسحب بسبب ما يعانيه من اختلاف طبائع الناس ومقاصدهم، بل ينهض ويعيد الكرة حتى يأنن الله بالنجاح، مستلهماً حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)). وأما المسيء فلعله ينتصح من طرف خفي إذا ذكر أن الله يرى ما يفعل، وأن شهاده في الأرض يرون ما يفعل كذلك، فيعمل على تصحيح نيته وقصده قبل أن ينخرط مع إخوانه الآخرين من جديد. اللهم ما أحوجنا - محسناً ومسيناً - إلى عفو عام منك تلم به شعثنا، وتجمع به كلمتنا، كما اطلعت على المنكسرین يوم أحد فقلت لهم: {ولقد عفا الله عنكم}.

* من عادتي أن أرسل مسودة المقال إلى بعض المقربين ممن أثق برأيهم للنقد والتوصيب والإثراء، ثم أضمن ما استفدت منه في المقال، وربما أعدت صياغته. فليس من العدل أن أنسّب المقال إلى نفسي، ولو لغراوة عن المؤلف لسردت أسماءهم جميعاً ليعلّمهم الناس، لكن الله يعلّمهم، فجزاهم الله خيراً.

المصادر: